دراسات الأدب المعاصر
السنة الرابعة، العدد١٤، صيف ١٣٩١ش
ص ١٣١-١٤٥

الجواهری بين وصف الطبيعة الإيرانيّة والحنين إلى الأحبّاء

فاطمه گلی* - محمد رحيمی خويگانی**

الملخص

لاشک فی أن الشاعر محمد مهدی الجواهری من فحول الشعراء العرب العراقيين المعاصرين وهو الذی اختتم به الشعر الكلاسيكی العربیّ بعد ما لُقّب بمتنبی العصر، فدراسة مضامين شعره المختلفة وخاصة ما يرتبط بإيران موضوع قلمّا عنی به الباحثون على الرغم من شهرة الشاعر وشعره؛ انطلاقا من هذا الدافع يهدف هذا التحقيق الذی انتهج المنهج التحليلی-الوصفی، إلى الكشف عن رؤية الجواهری تجاه إيران وطبيعتها.

ومن أهم ما وصل إليه هذا البحث هو أنه لإيران ولطبيعتها الجميلة الساحرة، ولهوائها النقیّ، تأثير بالغ فی نفسية الشاعر، كل ذلک دفعه إلى إنشاد أروع أشعاره (حسب قول الشاعر نفسه) فی إيران.

الكلمات الدليلة: الجواهری، الطبيعة الإيرانية، الحنين والغربة.

* جامعة إصفهان، إيران. (طالبة فی مرحلة الدكتوراه) Fatemeh_Goli@yahoo.com
** جامعة إصفهان، إيران. (طالب فی مرحلة الدكتوراه)

تاريخ الوصول ١٣٩٠/١٠/٢٤ تاريخ القبول ١٣٩١/٦/١٨

المقدمة

زار الجواهری بلاد إیران مرات عدیدة وأقام بها وبساتینها ومتزهاتها وتلذذ بما رأی فیها من الجمال والحسن، وهل یمکن لشاعر أن یری الجمال ولایصفه؟ فالجواهری وصف إیران فی قصائد عدة وسعی وراء تبیان مظاهر الجمال فیها، ولکن الأمر لایتوقف إلی هذا الحد بل یتجاوزه ونراه یتکلم فی بعض الأحیان عن المسائل السیاسیة فی إیران وما جری فیها من الثورات والمظاهرات غیر أن هذا القسم لایتحدّی عن قصیدة واحدة.

إن هذا الجانب من شعر الجواهری مع ما فیه من البراعة فی التصویر والصدق فی البیان لم یستطع أن یجذب انتباه الدارسین حتی الآن، فالبحث هذا اختار هذا الموضوع إثر شعوره بهذا الفراغ الواسع.

وانقسم البحث إلی قسمین رئیسین فالأول یتناول وصف مظاهر الجمال الإیرانی فی شعر الجواهری والثانی یتطرق إلی ما نسمیه الحنین إلی الوطن من خلال شعره فی إیران.

موجز عن الجواهری؛ حیاته، بیئته، شخصیته وشعره

إن الشاعر محمد مهدی الجواهری، متنبی العصر، شاعر العراق الأکبر، کان من فحول الشعراء العرب العراقیین المعاصرین؛ و إنّ کثیرا من الباحثین ألفوا فی حیاة الجواهری وسیرته، فلعل التطرق إلیه یعدّ أمرا مطروقا. (بهاء الدین ومرادیان، ۲۰۱۱م: ۱۳) فنشیر إلیه هنا إشارة موجزة:

أبصر النور عام (۱۸۹۹م) فی مدینة النجف الأغر الأشرف العراقیة، ذلک المرکز الأدبی الدینی الشیعی البارز تحدّر من أسرة عریقة فی علوم الفقه والأدب والشعر، عرفت بـ"آل الجواهری". تزوج مرتین: الأولی من ابنة عمه والثانیة من أختها، وأنجب سبعة أولاد. (الجواهری، ج۲، ۱۹۸۰م: ۳۵۱)

کان ذا ذاکرة عجیبة "یحمل فی ذاکرته الکمبیوتریة، تاریخ العراق وأحلی وأروع أشعار الشعراء العرب" (حبیب)، فهو یتذکر أحداث وفاة جده لأبیه، إذ کان فی عامه الثانی من عمره، کان شدید النّهم بالقراءة إلی حین وفاته، فذکر صهره أنه قرأ للجواهری

خمسین کتابا خلال عامی ۱۹۹۴ و۱۹۹۸م. (المندلاوی، ۲۰۰۰م: ۸۷-۹۲)

لاشک أن أخلاق الجواهری وشخصیته ومعتقداته مرتبطة أشدّ الارتباط بالبیئة العراقیة، التی لها أهمیة بالغة لدی الطائفة الشیعیة والمذهب الشیعی الذی یُعَدّ العراق مرکزه الأول من الناحیة الزمنیة.

یعترف الجواهری بأن أدبه وشعره اصطبغ بالصبغة القرآنیة وبصبغة نهج البلاغة ویعتقد أن أدیبا لم یحفظ ولم یدرس القرآن ونهج البلاغة لایمکن أن یکون شاعرا ولا کاتبا أبدا؛ إنه بدأ الشعر مبکراً جداً کما یقول: «بدأت اکتب الشعر وأنا فی الرابعة عشرة.» (حسن، ۲۰۰۴م: ۱۸۱-۱۸۲)

تنقّل الجواهری من مهنة إلی أخری دون أن یستمرّ فی واحدة منها مدة طویلة، فقد کان معلما ونائبا کما کان نقیبا للصحافة ورئیسا لاتحاد الأدباء.

وعدم الهدوء هذا، یرجع إلی شخصیته المتمردة، کما عبر عنها إبراهیم جبرا: «تجربة الجواهری تجربة المتمرد الذی لا بد له من الاستمرار علی التمرد.» (العلوی، ۱۹۶۹م: ۲۶) کان یؤمن بمسؤولیة الشاعر تجاه المجتمع؛ لأن وظیفة الفنّانین والشّعراء، هی تثقیف العالم.

یتصف أسلوب الجواهری بالصدق فی التعبیر، والقوة فی البیان والحرارة و الإحساس. «إنه أبرز الشعراء طرّا، وأغزرهم مادة، وأکثرهم أغراضا، وأنبتهم قافیة، وأعمقهم أدبا، وأشرقهم بیاناً.» (العماری، لاتا)

إن الجواهری لم یکن شاعر مناسبات، بل کان شاعرا یبحث عن مناسبة ما لیقول عما فی خوالجه. یبدو من أشعاره أنه کان یحب إیران ویحترم الإیرانیین.

نقرأ فی دیوانه أنه سافر إلی إیران مرتین: المرة الأولی فی عام ۱۹۲۴م والثانیة فی عام ۱۹۲۶م وکان قد أخذ بطبیعتها، فنظم فی ذلک عدة مقطوعات. (الجواهری، ۱۹۸۸م: ۱۶) أشعاره هذه نظمها إثر هاتین السفرتین وإن کان له بعدهما رحلة أخری إلی إیران.

أشعاره فی "إیران"

إن المادة التی نجدها فی دیوان الجواهری عن إیران وطبیعتها والتی نظمت بتأثیرها،

قليلة بالقياس إلى الموضوعات الاجتماعية والسياسية التى تكاد تشكل أعظم الأعمال الأدبية لهذا الأديب الفنان؛ ولكن كثيرة بالقياس إلى مدة إقامته فى إيران!

وردت أشعار الجواهرى فى إيران، فى ديوانه حسب التسلسل الزمنى، وفى أغراض شتى؛ توزعت فى هذا البحث على قسمين:

أ. ما نظمه حول الوقائع والأحداث السياسية فى إيران.

ب. ما نظمه حول تأثره بطبيعة إيران والتلذذ بجمالها.

أما الأول فقليل جدا، بحيث لايجدر بالبحث ولا الدراسة، فنكتفى بذكر مثال منه فقط، فإن النجف الأغر مسقط رأس الجواهرى وله مشتركات عديدة مع الإيرانيين من ناحية دينية وثقافية وأدبية وحتى من ناحية سياسية؛ (الحمدانى، ۲۰۰۶م: ۱۳) فنرى أنه فى بعض الأحايين، واكب الأحداث فى إيران؛ ودبّج فيها بعض القصائد ولكنها قليلة جدا لاتجدر بالدراسة ولكن نأتى بجانب منها وهو قصيدة **"وم الشهداء فى إيران"** التى نظمها إثر انتفاضة الشعب الإيرانىّ على حكم الشاه (عام۱۹۵۲م)؛ التى أتت بمصدق إلى الحكم، ليعلن تأميم النفط؛ وهى نظمت بأمل أن تكمل و لم يحوها ديوانه:

سالَت لتُملى ما تَشاءُ دِماؤُها وَهَوَت لتَرفَعَ شَأنَها شُهَداؤُها

وانصاعَ مَخضوبا يُركِّزُ نَفسَهُ ما بَينَ أَلويَةِ الشُعوبِ لواؤُها

(الجواهرى، ج۴، ۱۹۷۳م: ۱۲۴)

فى هذين البيتين نرى كيف يراقب الجواهرى الوقائع فى إيران وهو فى العراق؛ وكيف يهتمّ بالأحداث السياسية ونظم الأشعار فيها، لأجل الحرية وكرامة الشعوب؛ إضافة إلى تكرار حرف الشين الذى ورد ثلاث مرات فى هذين البيتين وما له من أثر فى نفس السامع.

فنرى كيف يكرم أبناء إيران الذين دافعوا عن وطنهم واستشهدوا لأجله؛ ويشبههم بالكواكب النيرات فى سماء البصيرة:

ضاءَت وبالمُهَجاتِ تفرشُ أرضَها بالمكرماتِ النيَراتِ سماؤُها

(نفس المصدر: نفس الصفحة)

کان الجواهری یحترم الشهداء احتراما بالغا «یجعل من الشهادة جزءاً ضروریاً من التجربه السیاسیة. إنها الفداء الذی یبحث عنه. الشهید لدیه ضالة منشودة، إنها عشقه الأول والأخیر.» (جبرا، ۱۹۶۹م: ۶۱)

أما الثانی فهو شعر جمیل مزیج من وصفه للطبیعة الإیرانیة وحنینه إلی أحبائه فی العراق، فالبحث یتناول الوصف أولا ویتطرق إلی موضوع الحنین ثانیا، هادفا الکشف عن أصالة شعر الطبیعة عند الجواهری أو عدم أصالته.

وصف الطبیعة الإیرانیة

کانت رحلات الجواهری کثیرة، ولکنه لما سافر إلی إیران، شغف بطبیعتها؛ فإنه یقول عن نفسه: «حتی إذا ما ذهبت إلی إیران للاصطیاف لأول مرة فی العشرینات کانت الجبال الشاهقة تهزّنی، أما البیئة النجفیة فکانت وراء قصائدی، فالحرمانات والتزمّت ولّدت لدیّ مفهوماً إنسانیاً نقیضاً ورغبة فی التغییر، وهو ما رافق قصائدی...» (www.jwahri.net)

فتلذذ بحسن جوها اللطیف وبساتینها الخضراء؛ فلم یجد لبیان ما کان فی ضمیره، ساحة أرحب وأوسع من میدان الشعر؛ فوصف "إیران" وما فیها من مظاهر الحسن والجمال للطبیعة الفاتنة الساحرة، فی قصائد کثیرة تؤتی المجال للباحث أن یکشف من وراءها الکثیر من الآراء والجمالیات عند الجواهری، من هذه القصائد:

۱. علی حدود فارس ۲. علی کِرند ۳. الریف الضاحک ۴. بین قطرین ۵. الأحادیث شجون ۶. برید الغربة ۷. الذکری المؤلمة ۸. البادیة فی إیران ۹. الخریف فی فارس.

وصف الفصول

خص الشاعر الکثیر من أبیاته بوصف الفصول الإیرانیة وما یری فیها من الجمال والحسن، فأوّل فصل اجتلب انتباهه وأعجبه هو الربیع، فالبحث هنا یدرس هذا الجانب من شعر الجواهری حتی یبین ما قاله فیه.

وصف الربيع

الربيع عنده هو الفصل المفضل الجميل وما إن رأى جماله حتى يـذكر الله ويـذكر جمال الجنة وهو دائما مسحور بجماله ومعجب بأزهاره ومعترف بحسنه البارع، وهذا الحب جعل الجواهرى أن يختص الكثير من قصائده بوصف الربيع؛ فيخاطـب خليليـه على سبيل الشعر الكلاسيكى فى قصيدة "الذكرى المؤلمة" ليثير فيهمـا الشـوق إلـى إيران وجمالها الطبيعىّ:

خليلـىَّ أحسـنُ مـا شـاقن بفارس هذا الجمال الطبيعى

(الجواهرى، ج۱، ۱۹۸۲م: ۱۴۸)

ويدعوهما مرّة بعد أخرى ليشاهدا معه هذا الجمال؛ فيصف لهم فصل الربيع ومتون الجبال التى تجرى عليها المياه كمذاب الدموع، والرياض الخضراء التى تضحک:

إلى الآن تجرى مُتـون الجبـال علينـا بمثـل مـذاب الـدُّموع

هَلُما معى نحـو هـذى الريـاض نجـددْ عهـوداً بفصـل الربيـع

فقـد أضـحتِ الأرضُ مخضـرةً تَضاحکُ عن شمل حسن جميع

(نفس المصدر: نفس الصفحة)

ثم يأتى بتعبير أنيق جداً، لاستيفاء حق هذا الحسن؛ فيعتبر سرعة مروره على هذه الطبيعة ضيما بحقّها:

ومهلاً فظلمٌ لهذا الجمال نمر عليه بلحـظٍ سـريع

(نفس المصدر: نفس الصفحة)

فعبارة "مهلاً"، توحى أن قائلها قد يضطره فوات الفرص- وهو غاية التلذذ بجمال الطبيعة هذه- إلى أن يصوغ بناء خاصا لأداء المعنى المراد.

خليلـىَّ إن جيـوش الغَمـام عرفن لفارسَ حسنَ الصنيع

ألم تريا كيف ضَرْعُ الغمـام يرِق لهذا النبات الرضـيع؟

(نفس المصدر: نفس الصفحة)

فنراه يخاطب خليليه مؤكدا لشدة إعجابه بإيران ونزاهتها وصفائها واشـتياقه إلـى

وصفها لهما؛ وعلی هذا الأساس یتعجب من غزارة المـاء، ویشـبه لـون الأزهـار فـی اخضرار الأرض بالوشی البهیج:

ولِـمْ لا تریـع بأریافهـا بلاد تسـیل بمـاء مریـع؟

خلیلیَّ ما فی بِقاع الوجود أبهجُ من وشی هذا البقیع

(نفس المصدر: نفس الصفحة)

وهل استطاع الجواهری أن یضبط فی القصیدة جمیع مظاهر البهجة والجمال لهـا؟ کلا ولایمکن لأی وصّاف أن یحدد بسهولة کافة العوامل المؤثرة فی جمال إیران! إنـه صور مظاهر الحسن والجمال تصویرا واضحا لأحبائه، ثم انتهی إلی الاعتراف بفضـل إیران علی کل بلاد العالم وعندما وصل إلی هذه النقطة، قال بجرأة عجیبة:

بنی الفرس فارسُکُمْ لا العراق وزاهـی رُبـوعکمُ لا ربـوعی

وما ابهج الشمسَ عند الغروب یحـی رُباهـا وعنـد الأُطلـوع

خلیلـیَّ مـا غیـرت فـارسٌ محل البصـیر بکـم والسـمیع

ولـو شـئت حملـت برقیـة تزَفُّ لکم من رجیف الضُّـلوع

(نفس المصدر: نفس الصفحة)

فبناء علی هذا، یرجّح الجواهری طبیعة إیران ویصفها وصفا کـاملا فـی قصـائده؛ وینشد أشعارا متقنة فی وصفها فی قصیدة "فی طهران":

قد سمعنا بفـارس وکفانـا حسن مرئیها عن المسموع

(نفس المصدر: ۲۰۰)

ویقول فی مکان آخر:

لا سوحُها وهـی جِنـان زَهَـتْ بکـلِّ مـا رقَّ جمـالاً وراق...

(نفس المصدر: ۱۴۶)

ویستمر فی وصف حسنها، و یسبح الله الذی خلق هذا الحسن والجمال وینزهه:

ولا الربـی مخضـرّة تزدهـی حسناً حواشیها اللطافُ الرِقاق

خُطَّتْ على أوساطها خضرةٌ سبحان من قدّر هذا النِطاق

تنال من شوقي وهل سلوةٌ لمن قضى اللهُ له أن يُشاق...

(نفس المصدر: نفس الصفحة)

إنه يحسبها (إيران) جنة لايستفاد من حظها استفادة كاملة، فتضاهى خمرا:

وما فارسٌ إلا جنانٌ مُضاعةٌ ويا رُبَّ خمْرٍ لم تجد من مُصفق

(نفس المصدر: ١٤٩)

ويواصل حديثه حول إعجابه بها، والتذاذه بهبوب الرياح ، ومجرى المياه الغزيرة، ويد الغيث الواهبة التى أتت من السماء، لتهب الأرض حسنا وبهاءً:

هنيئاً فلا مسرى الرياح بخافتٍ وبىٍّ ولا مجرى المياهِ بضيّق

وصف الشتاء والصيف

يتجلى هذا الغرض فى أشعاره تجليا خفيفا، فالشاعر يصف الشتاء والصيف من خلال أغراض أخرى، مثل ما نرى فى قصيدة "على حدود فارس" حيث يصف الشتاء وثلجه الذى يعطى الصيف رونقا وجمالا:

صبَّ الشتاء الثلج فوق الرُبى يرفعُه فيها طباقاً طباق

حتى إذا الصيفُ انبرى واغتدتْ تُصَبِّحُ الأرض بكأسٍ دهِاق...

(نفس المصدر: ١٤٦)

والشاعر هنا يصف لنا مجيء الصيف بعد أن تنقضى أيام الشتاء وتذوب الثلوج على الجبال ونراه فى قصيدة أخرى يصف مجيء الشتاء بعد الصيف بقوله:

مضى الصيفُ مقتاداً من وجاء الشتا زحفاً إليها بفيلق

كأن الثلوجَ النازلاتِ على الربى عمائمُ بيضٌ كُوِّرتْ فوق مَفْرِق

وكأنه لايوجد فصل فيما بين هذين الفصلين! مهما يكن من شيء فوصف الشاعر لتغيير الفصول وصف جميل بارع.

وصف الخریف

ومن الفصول التی وصفها الجواهری هو فصل الخریف، فالخریف عنده فصل جمیل یسحر العیون ولکنه یبشر القائلین بفصل أجمل هو فصل الربیع، ویستهل قصیدة "الخریف فی فارس" بوصف خریفها، قائلا:

یا هائجینَ لخریفِ فارسٍ ما تصنعونَ لو أتی ربیعُهُ...
هذا جمالٌ زانهُ نورُ الفضا لا کجمالٍ حِفظُه یُضیعه
لله دَرُّ دَرِّه من مُرضِعٍ کلُّ الثری ومن به رضیعه

(نفس المصدر: ۲۰۱)

وصف الریف

مع أن وصف الریف هو وصف ربیعه وجناته ومظاهره الطبیعیة الأخری ولکننا نحس بأن هذا الوصف له میزات تمیزها عما ذکرنا من قبل، فیختص الشاعر قصیدة **"الریف الضاحک"** التی من خواطر الشاعر وهو یمر بمصائف "همدان" وأریافها بوصف جمال الریف؛ ونشرت مرة باسم "خواطر الشعر فی فارس علی العراق العجمی" و مرة أخری باسم "ما بین العراقین"؛ و هذه القصیدة من قصائده الفریدة فی إیران؛ و من صفحات شعره المشرقة، التی تعید إلی ذهن القارئ، غرر القصائد العربیة العامرة فی هذا الباب، لما فی بنائها ومادتها من قوة وبراعة؛ وأنت إذا ألقیت نظرة علیها، بدا لعینیک منها بناء شامخ:

کلُّ أقطارکِ یا "فارس" ریف طابَ فصلاک: ربیعٌ وخریفٌ
لا عرتْ أرضُکِ من لطفٍ فقد ضَمِنَ الحسنَ لها جوٌ لطیف
یا ریاضاً زهَرَتْ فی فارسٍ شکرَتْکنَّ عُیونٌ وأُنوف...
مِن جمال خُط معناهُ علی فارسٍ واختصَّتِ الأرضَ حروف..
صَنعةٌ للفرسِ فی الوشیِ ولا مثلَ ماوشَّی بها الروضُ المفوف..

فـــارِسٌ أيـــنَ وأُلافُ الصِّـــبا أوَ هلْ يبقى علـى النـأيِ أليـف؟

(نفس المصدر: ١٥٠)

وصف المصائف

خص الجواهرى جانبا من وصفه للطبيعة بوصـف المنـاطق والمصـائف الإيرانيـة الجميلة ومثلا نراه يخص بالذكر المناطق ذات الطقس العالية فى إيران، فى قصيدة "در بند" و"الشمرانات":

نزلنـــا ففرقنـــا همومـــا تجمعـــت أبـى صـفو "شـمرانات" أن تجمعـا

(نفس المصدر: ١٩٧)

ويسمى "دربند" أم الحسن، إذ يقول:

رعى الله أم الحسن "دربند" إننا وجدنا بها روضا من الصفو ممرعا

(نفس المصدر: نفس الصفحة)

ويقول مخاطبا فارس فى قصيدة "بريد الغربة" (صفحة ١٩٨ –١٩٩):

هى "فارسٌ" وهواؤها ريح الصَّبا وســـماؤها الأغصـــانُ والأوراق

ولَعِـــتْ بهـــا عُشّـــاقها وبليـــةٌ فى الشرق إنْ ولَعَـتْ بهـا العشـاق

ســالت بــدفاق النُّضــار بقاعُهــا وعلـــى بنيهـــا شـــحتِ الأرزاق

يا بنـتَ "كـومرثٍ" أقلّـى فكـرةً فلقــد أضــرَّ برأســك الإخفــاق

وتطلَّعـى تَتَبَيَّنـى الفجـرَ الـذى تتـــوقعينَ وتنجلـــى الآفـــاق

لـى فـى العـراق عصـابةٌ لـولاهمُ مــا كــان محبوبــاً الــىّ عــراقُ

لا دجلــةٌ لــولاهمُ، وهــى التــى عـذُبت، تـروق ولا الفـراتُ يـذاق

شمرانُ تُعجبُنى، وزهرهـا روضـها وهواؤهـــا، ونميرُهـــا الرَّقـــراق

متكســراً بــين الصــخور تمُــدّهُ فـوقَ الجبـال مـن الثُّلـوج طِبـاق

وعليـــه مـــن وَرَقِ الغُصـــونِ ممـــدوةٌ ومـــن الظِـــلالِ رُواق

فـی کـل غصْـنٍ للبلابـل نـدوةٌ وبکـــل عـــودٍ للغنـــا إســـحاق
کانـت منـایّ فلـم تُعَـقْ وعجیبـةٌ أنـــی أُحـــب منـــیً فـــلا تُعتـــاق
ســرُّ الحیــاة نجــاحُ آمــالِ الفتــی أمـــا الممـــاتُ فســـرُّه الإخفـــاق

وهی القصیدة التی أثیرت عند نشرها ضجة کبیرة، وطرد مـن أجلهـا وفصـل مـن الوظیفه فی وزارة المعارف؛ لأنه یقول فیه: «إنه لا یحب العراق من أجل العراق وحده، بل لأن فیه مواطنین وأخلاء تهمّـه أوضـاعهم وأحـوالهم.» (بهـاء الـدین ومرادیـان، ۲۰۱۱م: ۵۶)

الحنین إلی الأحباء

کل من یقرأ ما قاله الجواهری فی إیران یشم منه رائحة الغربة والألم والفراق، فهذا طبیعی لأن إیران ولو کانت له مأمن وملجأ ولکنها لیست وطنه، فنراه فی أوّل قصائده **"علی حدود فارس"** التی نظمت بدایة التعرّف علی إیران؛ یکثر من ذکر آلامه وحنینه إلی العراق الحبیب، (حوّر، ۸۹-۹۰) فاستهلّها بذکر اشتیاقه إلـی زیـارة أحبائـه فـی العراق و خاطبهم بقوله:

أحبابنـا بـین مَحـانی العـراقْ کلفـتُمُ قلبـیَ مـا لا یُطـاقْ
العـیشُ مـرٌّ طعمـهُ بعَـدکم وکیـف لا والبُعْـدُ مـرٌّ المـذاق
یکفـیکُمُ مـن لـوعتی أننـی فی فارس أشتاقُ قُطرَ العـراق..
لا سـوحها وهـی جنـان زهـت بکـلّ مـا رقّ جمـالا وراق
لیس یقی النفس امرؤ من هوی إلا إذا کان مـن المـوت واق!!

(الجواهریّ، ج۱، ۱۹۸۲م: ۱۴۶)

یری الجواهری أن "البعد" وهو عامل الغربة، طعمه مرّ وهذه المرارة تجعل عیشـه فی إیران مرّ مع أنّ إیران تتمتع بما ذکره الشاعر من الحسـن والجمـال!!؛ لقـد أحـبّ إیران حبّا شدیدا، حتی ظنّ أنّه من سکن إیران، لا بدّ أن ینسی کلّ شیء؛ فاسـتغرب

صدق ودّه لأحبائه واللوعة من فراقهم؛ فأتى بخير شاهد على هذا الحبّ: بأنه يذكر أحبائه وهو فى إيران و يشتاق إليهم مع أنه فى جنة "فارس" وهذا غاية العجب ويعتبر نفسه مسحورة من شدة الجمال الفاتن فى إيران، ومن الطبيعىّ جداً أن يظل كل إنسان مفتونا بهذا الحسن ولاسبيل له إلا أن يكون له واق من الموت.

والجدير بالذكر أن فى المصرع الأخير أيضا إشارة قرآنية لطيفة إلى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ (الغافر: ۴۰)

وأما فى قصيدة **"الذكرى المؤلمة"** (التى نظمها عند تركه العراق لأول مرة مصطافاً فى إيران) فيتشوق للعراق أيضاً، فالمنفى فى شعره امتداد للغربة فى الوطن، يجسّد الأبعاد النفسية والاجتماعيّة والسياسيّة. (اليحيى، ۲۰۰۱م: ۲۸۷)؛ فتصوّر هذه القصيدة، آفاقه النفسيّة إذ يقول:

أقول وقد شاقتنىَ الريحُ سحرةً ومَنْ يذكرِ الأوطانَ والأهلَ يَشْتَقِ..
وهل ننتشى ريحَ العراقِ وهل لنا سبيلٌ إلى ماء الفرات المصفَّق
حبيبٌ إلى سمعى مقالةُ " احمدٍ "أأحبابَنا بين الفراتِ وجلَّق"
فو اللهِ ما روحُ الجنان بطيّبٍ سواكم ولا ماءُ الغوادى بريق...

(الجواهرى، ج۱، ۱۹۸۲م: ۱۴۸)

ويعدّ سفره إلى إيران من القضاء الإلهى، كما يعتبر الفراق والابتعاد عن العراق مصيبة، تكمن وراءها حكمة إلهية، أرادت للجواهرى أن يسكن فى إيران، ويتمتّع بنعمها الوافرة (نفس المصدر):

خليلىّ لا تُلْحى سهامُ مصائبٍ أُتيحت فلولا حكمه لم تُفَّوق
تعنف أحكام القضاء حماقة كأن القضاءَ الحتمَ ليس بأحمق

وهكذا واصل هذه الطريقة فى قصيدة "بين قطرين"، واستهلّها بتوصيف المطر والأراضى الخصبة:

سقى تُربَها من ريِّقِ المزن دياراً بعثْنَ الوقَ والشوقُ قتالُ

خلیلیَّ أشجَی ما ینغِّص لذتی مَناحٌ أقامته عیالٌ وأطفال
خلیلیَّ لو لم یَنطق الوجدُ لم أقل فقد کذَّبت قبلی لذی الحبّ أقوال
فمن شاقه بَردُ النعیم بفارسٍ فإنّی إلی حَرِّ العراقین میّال

(نفس المصدر: ۱۵۲)

فیتلذذ الشاعر بذکر "فارس" وهواءها ویحسبها جنة جمیلة، ولکنه یمیل إلی أحبائه فی العراق؛ فالجواهری یؤذیه کونه فی إیران واستمتاعه من الجو النقی اللطیف وکون أسرته فی العراق و هم فی مناخ غیر مطلوب وجو غیر صافٍ.

ویلاحظ هذا الحنین إلی الوطن أیضا فی قصیدة "الأحادیث شجون" أو "بین الغربة والوطن" أو "حبی عراقی دین"؛ فنراه مذبذبا بین ذلک لا إلی هؤلاء ولا إلی هؤلاء؛ لایدری أیختار العراق أم إیران:

جَدِّدی ریحَ الصبَا عهد الصِبا وأعیدی فالأحادیثُ شُجونُ..
سَألونا کیف کنتمْ؟ إن مَنْ دأبُه ذکرُکمُ کیفِ یکون...

(نفس المصدر: ۱۵۵-۱۵۶)

وفی قصیده "وفی الربیع" أیضا یعتبر أحباءه فی العراق سببا لحنینه إلی وطنه:

أحبابَنا فی الکرخ هل من زورةٍ لنَحیل جسم بالفراق نحیفه
أهوَی لأجلکُمُ العراقَ فمُنیتی فی قُربکم لاخصبِه أو ریفه

(نفس المصدر: ۱۵۷)

إذا أحب الجواهری "العراق" فهو لأجل أحباءه لا لأنه وطنه! هذا شیء عجاب یشم رائحة التأثیر البالغ الإیرانی علی الشاعر.

فیری أمله الوحید، وأمنیته المنشودة فی لقاء أحبائه؛ لافی خصب العراق أو ریفه. ویواصل وصف طبیعة فارس، ویقول:

وَسلی قلبیَ لِمْ ضاقتْ به فارسٌ وهی ریاضٌ لا سُجون
ضَحِکَت فیها من الروض وجوه وجَرَت بالسَلْسَلِ العَذبِ عُیون

واكتَسَتْ بالحسنِ هاماتُ الرُبى كيفَما شاءَ لها الغيثُ الهَتون

حبذا فارسُ من مُستوطَنٍ عافَه أهل وخلاّه القَطين

(نفس المصدر: ۱۵۵)

ويبارک المواطنين فی فارس و الذين اتخذوا إيران مسكناً لهم ملوحا إلی أن إيران ليست وطنه وهذه الإشارة تشم منه رائحة التحسر والحرمان.

النتيجة

۱. كانت للجواهری صلة عاطفية وثيقة بإيران، ولأجل هذه الصلة العاطفية، نجده تناول وصف الطبيعة الإيرانية الخلابة فی شعره.

۲. للربيع الإيرانی دوره فی أشعار الجواهری فهو دائما يترنّم بترنّم عصافيره وجداوله ويتغنی مع سُحبه الممطرة السوداء.

۳. يبدو أن الجواهری اهتم بوصف ذهاب الشتاء ومجیء الصيف لأنه يری فی هذا التداول مضی عمره وانقضاء فرصه المتاحة فی إيران.

۴. يتغنّی الجواهری فی مصائف إيران مع تغنّی البلابل والعصافير ويسعی فی أشعار كثيرة أن يصف جمال هذه المصائف الطبيعية.

۵. طبع شعر الجواهری فی إيران بطابع الحزن العام والتحسر علی الوطن والحنين إلی الأحباء، وهذا طبيعی بالنسبة لشاعر يری نفسه فی راحة ورخاء ولكن وطنه الذی احتضن أحبائه كله فی صعوبة وجفاء.

المصادر والمراجع

۱) القرآن الكريم.

۲) بهاء الدين، جعفر ومراديان، علی أكبر، ۲۰۱۱م. الالتزام فی شعر محمد مهدی الجواهری. بيروت: دار الكاتب العربی.

۳) جبرا، إبراهيم جبرا. ۱۹۸۲م. النار والجوهر، دراسات فی الشعر. الطبعة الأولی. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

۴) الجواهری، محمد مهدی. ۱۹۷۲-۱۹۸۰م. ديوان الجواهری. جمع وتحقيق إبراهيم السامرايی

بالاشتراک مع مهدیّ المخزومی وعلی جواد ورشید بکتاش. بغداد: دار الرشید.
۵) حبیب، کاظم. فی أربعینیة الجواهری الکبیر:
6) http://www.aliraqi.org/forums
۷) حسن، دیب علی. ۲۰۰۴م. الجواهری رحلة الشعر والحیاة. تقدیم سلیمان سلیم البواب. بیروت: مؤسسة المنارة.
۸) حوّر، محمد. ۱۹۹۸م. فلسطین فی شعر الجواهری وقراءات فی الأدب الحدیث. الطبعة الأولی. بیروت: المؤسسة العربیة للدراسات والنشر.
۹) الحمدانی، حامد. ۲۰۰۶م. ثورة ۱۴ تموز فی نهوضها وانتکاسها وسقوطها. السوید: نشر فیشون میدیا.
۱۰) العلوی، هادی. ۱۹۶۹م. محمد مهدی الجواهری دراسات نقدیة. بغداد: مکتبة الأندلس.
۱۱) العماری، مراد. لاتا. قصة قصیدة التتویج التی نغصت حیاة الجواهری:
12) http://www.Almawsem.net/diwan
۱۳) غدیر، علی. لاتا. فی ذکری رحیله ... الجواهری ... آخر العمالقة الخالدین:
14) http://www.aliraqi.org/forums
۱۵) محفوظ، حسین علی. لاتا. بیت الجواهری:
16) http://www.jwahri.com
۱۷) متقی زاده، عیسی وعلی بشیری. ۱۳۹۱ش. «الأثر الفارسی فی شعر عبدالوهاب البیاتی». فصلیة إضاءات نقدیة. السنة الثانیة. العدد ۶. صص ۱۵۰-۱۲۹.
۱۸) المندلاوی، صباح. ۲۰۰۰م. فی رحاب الجواهری. الطبعة الأولی. دمشق: دار علاء الدین.
۱۹) میرزائی جباری، فهیمة وسیدمحمد رضا ابن الرسول. ۱۳۹۱ش. «وصف طبیعت در دیوان منوچهری وطغرایی». فصلنامه مطالعات ادبیات تطبیقی. السنة السادسة. العدد العدد ۲۱. صص ۲۱۷-۲۲۳.
۲۰) هواری، زهیر. ۲۰۰۳م. جذور العلاقة العاملیة بالنجف وحصاد قوافل العلماء. جریده السفیر، لبنان:
21) http://www.bintjbeil.com
۲۲) الیحیی، فرحان. ۲۰۰۱م. أزمه المواطنة فی شعر الجواهریّ. دمشق: اتحاد الکتاب العرب.